الأساليب اللغوية والبلاغية التي صيغت بها الأساليب التربوية في سورة التحريم

The Linguistic and Rhetorical Methods by Which the Educational Methods were Formulatef in Surat Al-Tahrim

أ.**نبأ عبد اللطيف عباس يحيى:** خريجة العلوم الإسلامية وكلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، العراق

Ms. Nabaa Abd Allateef Abbas Yahya: Master of Islamic Sciences, Faculty of Education for Humanities, Karbala, Iraq

Email: altahwntalhmra@gmail.com

الملخص

تناول هذا البحث عن موضوع الأسلوب التربوي الذي جاء به رسول الله (ص) وهو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، جمع الله تبارك وتعالى فيه سنن الأولين، وأتمّ به الشرائع والدين، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به خرج من الظلمات إلى النور، وفاز بخيري الدنيا والآخرة. قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) (الإسراء/١٩)، إنه يهدي إلى دين الله القويم، وصراطه المستقيم، يعلمهم رشدهم ويربيهم تربية إيمانية تزكو بها نفوسهم، وتصلح بها قلوبهم، وتنمو مواهبهم، وتتسع مداركهم، وتعلو همتهم، وهو المصدر الأول للتربية، طبقه الرسول (ص) واقعاً وسلوكاً، وجسده الصحابة رضوان الله تعالى عليهم سيرة وعملاً، وفي ضوء ما عرضته السورة من أساليب تربوية عديدة ومتنوعة كان البحث حول المبادئ والقيم والأساليب التربوية وآثارها. قيم تربوية منها الوفاء بالبيعة والشكر والحذر من النفاق، وغيرها من أساليب تربوية مفيدة.

الكلمات المفتاحية: الأساليب، اللغوية، البلاغية، التربوية، سورة.

Abstract:

This research monitors the topic of the educational method that the Messenger of God (PBUH) brought. He guides to the right religion of God and His straight path, teaches them their sense of reason, and raises them with a faith-based upbringing that will leave their souls, reform their hearts, grow their talents, expand their perceptions, and raise their resolve. It is the first source.

For education, the Messenger (PBUH) applied it in reality and behavior, and the Companions, may God Almighty be pleased with them, embodied it in conduct and action. In light of the many and varied educational methods presented in the Surah, our study was about educational principles, values, and methods and their effects. Educational values, including loyalty to the

pledge of allegiance, gratitude, caution against hypocrisy, and other useful educational methods.

Keywords: Methods, Linguistic, Rhetorical, Educational, Surah.

المقدمة:

لمعرفة الأساليب والتعاليم التربوية في دراسات الحديثة وبيان أهمية دراستها لأن القران الكريم اعتمد على أساليب متعددة لإيصال المعنى وايضاح الصورة البنائية ولكل قضيه من القضايا اسلوب يناسبها فتجد في المعنى أساليب تختلف عن أساليب موجودة في القصص، إضافة الى لوازم البيان من تشبيه واستعاره وكناية وغير ذلك في باب المجا في سورة التحريم و الغرض من نزولها هو حث المسلمين على العمل بالعلم الذي يتعلمونه ، تأتي الحكمة من خلال قصة تتعلق بأمور حياتية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحديدًا فيما يتعلق بعلاقته الزوجية.

تضع السورة قواعد وتوجيهات بخصوص الأمور الشخصية للنبي وكيفية التعامل مع الأمور التي قد تكون معقدة وتحتاج إلى حكمة خاصة. وأهمية هذه الحكمة تظهر في توجيه المسلمين بأنهم يجب أن يكونوا حذرين وواعين لمختلف جوانب حياتهم، سواء كانت في الأمور الشخصية أو العلاقات الاجتماعية. يتعين على المسلمين أن يكونوا حذرين من الأخطاء والتحديات التي قد تواجههم في حياتهم اليومية والتنبيه على أهمية احترام الشعائر الدينية وعدم تجاوزها، وتشدد على أهمية الوعي والحذر في التعامل مع الأمور الدينية والشخصية.

سورة التحريم تحمل في منهجها عديد من الحكم والتوجيهات التي تكشف عن حكمة الله في تشريعاته وتوجيهاته للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين. فمنهج حكمة سورة التحريم بأنّها توجه المؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم بضرورة الحذر والوقاية من الأمور التي قد تؤدي إلى الضرر. ذلك يظهر في قصة النبي مع أزواجه وكيفية التعامل معهن بحذر وحسن التدبير.

ويُظهر منهج السورة أهمية احترام الشعائر الدينية وعدم تجاوزها، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالشهور الحرم، أو بمكة المكرمة والبيت الحرام. هذا يعكس قيمة الوقوف عند حدود الله والاحترام العظيم لمكانه وأوقاته. وتُبرز السورة حكمة في التعامل مع الفقراء والمحتاجين، حيث تُشجّع على إعطاء الصدقات والهدايا لهم، وهو جزء من الرعاية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي.

وتُقدم توجيهات فيما يتعلق بالحياة الزوجية وكيفية التعامل مع الأزواج، مما يبرز حكمة الإسلام في توفير الإرشاد والتوجيه في كل جوانب الحياة.

ويتضمن منهج السورة دعوة إلى العدل والإنصاف في التعامل مع الأزواج والمحيطين، وهو أساس في بناء مجتمع يسوده العدل والمساواة. وكتذكير بعظمة الله وسلطته، مما يوجه المؤمنين إلى الخضوع والطاعة لأوامر الله وتحلي بالورع والتقوى وتتجلى حكمة سورة التحريم في توجيهاتها وتشريعاتها، التي تسعى إلى توجيه المسلمين في جميع جوانب حياتهم لبناء مجتمع قائم على العدل والتقوى.

الأساليب اللغوية والبلاغية التي صيغت بها الأساليب التربوية في سورة التحريم

ومن خلال كل ما سبق تم التطرق لبحث الأساليب اللغوية والبلاغية التي صيغت بها الأساليب التربوية في سورة التحريم والتي منها:

أولاً: أسلوب العتاب

والعتب لغةً: النقص ومن معانيه ما دخل في الأمر من الفساد ويقال ما في مودته عتب إذا كانت خالصة لا يشوبها فساد، والعتب الموجودة وعاتبه معاتبه وعتابًا.

والعتب: التجني، والأعتاب والعتبى كلاهما رجوع المعتب عليه إلى ما يرضي العاتب، والاستعجاب: طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته. [i]

والعتب: الرجل الذي يعاتب صاحبه أو صديقه في كل شيء عليه وتصحيحه له. [ii]

مفهوم الأسلوب العتابي: سلوك تتم ممارسته لتطبيق منهج يركز على العتاب بحق الأشخاص المخالفين بهدف الحصول على النظام المطلوب. [iii]

العتاب وسيلة تربوية هادفة إذا استجمع شروطه من حسن التنبيه على الخطأ ومراعاة حال المخاطب ومدى تجاوبه مع هذه الوسيلة، فليس العتاب كله شرًا، بل منه ما يزيد المودة ويعبّر عن عمق الحرص وصدق الإخلاص، والمعنى اللغوي قريب من هذا، قال الأزهري: "العتّب، والمعاتبة، والعتاب، كل ذلك مخاطبة الإدلال وكلام المُدلِّين أخلاءهم طالبين حسن مراجعتهم" [iv]

وفي هذا يقول الشاعر: أبلغ أبا مَسْمَع عني مغلغلة وفي العتاب حياة بين أقوام. [v]

فالعتاب بهذه الصورة فيه حياة للنفوس والقلوب، ومراجعة للأخطاء، ويزيد فضله، وتكثر فوائده حينما يأتي من رب رحيم ودود، متجهًا إلى قلوب صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) الذين آمنوا به وعرفوا أن في مخاطبته إياهم البركة والمصلحة لهم في دينهم ودنياهم.

وقد تعددت مواطن العتاب في القرآن الكريم، وهو يتنوع بين عتاب خفيف رفيق، وبين عتاب شديد، إلا أنه في كلا الحالين يمتزج بمداواة آثاره من مدح للمؤمنين، أو بيان لعلة هذا العتاب أو غير ذلك من الأساليب، قال الحكماء العرب: (العتاب يبعث على التجني، والتجني أخو المحاجة وهي أخت العداوة، والعداوة أم القطيعة)، (العتاب رسول الفرقة، وداعي القلي، وسبب السلوان، وباعث الهجران)، (سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث ألا يكدهم بالتوبيخ، لئلا يضطروا إلى القحة)، (العتاب داعية الاجتناب، فإذا انبسطت المعاتبة، انقبضت المصاحبة). [vi]

تبدأ السورة بالإشارة إلى ما جرى بين النبي (ص) وبعض أزواجه من قصة التحريم فيعاتب النبي (ص) بتحريمه ما أحل الله له ابتغاء مرضاة بعض أزواجه ومرجعه إلى عتاب أولئك النسوة والانتصار له (ص) كما يدل عليه سياق الآيات من الأسلوب التربوي على ان عله تحريم الرسول (ص) ما حرمه على نفسه سبب تآمر أثنين من زوجات الرسول (ص).[vii]

فأول الاساليب التربوية التي وردت في سورة التحريم قولة تعالى ((يا أيها النبي)) فاراد الله تعالى أن يربي المؤمنين على احترام النبي (ص) واجلاله وتوقيره حتى في النداء والى هذه المعنى اشارة اليها الطبرسي بقوله: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ» ناداه سبحانه بهذا النداء تشريفا له وتعليما لعباده كيف يخاطبونه في أثناء محاوراتهم ويذكرونه في خلال كلامهم. [viii]

وأفضل من أوجز القول في هذه المسألة التحريم ومسألة السر الذي تمت الإشارة إليهما في أوائل سورة التحريم ما ذكره الشيخ علي ابن إبراهيم القمي (رحمه الله تعالى) في تفسيره إذ قال: ((فَذَهَبَتْ حَفْصَةُ فِي حَاجَةٍ لَهَا فَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ مَارِيَةَ، فَعَلِمَتْ حَفْصَةُ بِذَلِكَ فَغَضِبَتْ وَ أَقْبَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا فِي يَوْمِي وَ فِي دَارِي وَ عَلَى فِرَاشِي فَاسْتَحْيَا رَسُولُ اللَّهِ مِنْهَا، فَقَالَ كُفِّي فَقَدْ حَرَّمْتُ مَارِيَةَ عَلَى نَفْسِي وَلَا أَطَؤُهَا بَعْدَ هَذَا أَبَداً وَ أَنَا أُفْضِي إِلَيْكِ سِرّاً فَإِنْ أَنْتِ أَخْبَرْتِ بِهِ فَعَلَيْكِ «لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» فَقَالَتْ نَعَمْ مَا هُوَ فَقَالَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَلِي الْخِلَافَةَ بَعْدِي ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبُوكِ.

فَقَالَتْ مَنْ أَخْبَرَكِ بِهَذَا قَالَ اللَّهُ أَخْبَرَنِي فَأَخْبَرَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ مِنْ يَوْمِهَا ذَلِكَ وَأَخْبَرَتْ عَائِشَةُ أَبَا بَكْرٍ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ لَهُ إِنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْنِي عَنْ حَفْصَةَ بشيء وَلَا أَثِقُ بِقَوْلِهَا فَاسْأَلْ أَنْتَ حَفْصَةَ، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ، فَقَالَ لَهَا مَا هَذَا الَّذِي أَخْبَرَتْ عَنْكِ عَائِشَةُ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ قَالَتْ مَا قُلْتُ لَهَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ إِنْ كَانَ هَذَا حَقّاً فَأَخْبِرِينَا حَتَّى نَتَقَدَّمَ فِيهِ، فَقَالَتْ نَعَمْ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ذَلِكَ فَاجْتَمَعَ عَلَى أَنْ يَسُمُّوا رَسُولَ اللَّهِ.

فَنَزَلَ جَبْرَئِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) بِهَذِهِ السُّورَةِ «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» إِلَى قَوْلِهِ «تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ». وبعد ما تآمرت عائشة وحفصة على الرسول (ص) أنقذه الله من هذه المحنة بأن يكفر عن يمينه يَعْنِي قَدْ أَبَاحَ اللَّهُ لَكَ أَنْ تُكَفِّرَ عَنْ يَمِينِكَ «وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ» أَيْ أَخْبَرَتْ بِهِ «وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ» يَعْنِي أَظْهَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى مَا أَخْبَرَتْ بِهِ وَمَا هَمُّوا بِهِ «عَرَّفَ بَعْضَهُ» أَيْ أَخْبَرَهَا.

وَقَالَ لِمَ أَخْبَرْتِ بِمَا أَخْبَرْتُكِ وَقَوْلُهُ «وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ» قَالَ لِمَ يُخْبِرُهُمْ بِمَا عَلِمَ مِمَّا هَمُّوا بِهِ «قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع «وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ» يَعْنِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع. وهنا لابد من الإشارة إلى أن تحريم النبي (ص) العسل لم يكن تحريماً بالمعنى أنه يمتنع من كل العسل وإنما العسل في ذلك المكان المخصوص الذي اتهمتُه فيه عائشة وحفصة أنه إذا أكله صار في فمه(ص) رائحة كرائحة المغفور أو المغافر(*) فهو يعلم قطعاً أن ليس كل العسل فيه هذه الميزة فكيف يحرم العسل على نفسه؟ إنما التحريم هنا بالمعنى اللغوي أي امتنع عن أكل العسل في بيت زينب الذي كان فيه هذه الرائحة بناء على أنه هذا هو السبب في نزول هذه الآية الكريمة. «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ». [ix]

ثانياً: الاستفهام التعجبي المتضمن للعتاب

وتربيةً المسلمين على أن يخاطبوه وينادوه ويكلموه بما يناسب مقامه الشريف (ص) خلافاً للذين ينادونه من وراء الحجرات يقولون له اخرج لنا يا محمد وخلافاً للذين يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي (ص) كما ورد في سورة الحجرات.

لأسلوب الثاني هو الأسلوب التربوي التعجبي إذا صح التعبير فإن الله سبحانه وتعالى قال لرسوله (ص) لم تحرم هذا استفهام تعجبي عتابي عاتبه بمعنى أنه الأولى ألا تبالغ بـ ارضاء نسائك وما فعلته حلالا وطيبا ولا إشكال فيه، وليس يحق لإحداهن أن تعترض عليك يا رسول الله (ص).

ثم بعد ذلك جاء الأسلوب الآخر في قوله تعالى "إِن تتوبا إِلَى ألله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا" فقد بين للمسلمين جميعاً ولحفصة وعائشة خصوصا أنهما وقعتا بالإثم على أية حال وقد مالت قلوبهما عن الحق حتى مع التوبة فـ استعمل الشرط مع التحقيق فقال أن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما أي مع التوبة فقد مالت قلوبكما عن الحق فكيف إذا لم تتوبا فقد وقعت الطامة الأكبر ثم بين الله سبحانه في جواب الشرط بـ أسلوب التوكيد أن هناك من ينصر النبي (ص) وأول الناصرين الله (جل وعلاَ) فقال "فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ" وهذا أسلوبٌ رفيع يبين مقام النبي (ص) عند الله وإن الله تعالى أول من يبادر بـ المعنى المجازي إلى نصرة النبي (ص) فإنَ الله هو مَوْلاهُ وجبرائيل (ع). فجعل جبرائيل الثاني في هذه النصرة ثم قال وصالح المؤمنين أي وعلي بن أبي طالب (ع) فتعددت مواضع النصر فـ النصر الأول من الله سبحانه وتعالى، والنصر الثاني من جبرائيل (ع) عن طريق الأخبار والتبليغ والتحذير للنبي (ص) من المؤامرات والمكائد، والثالث أنه يوجد من الناس من ينصره نصراً ماديا مباشراً وهو الإمام علي (ع) كما ذكره السيوطي وغيره في بقية التفاسير ان صالح المؤمنين هو الإمام علي (ع) ثم قال والملائكة بعد ذلك ظهير أي ظهيرٌ للنبي (ص) وهذا الأسلوب التربوي بين عظم المؤامرة وخطورة المؤامرة التي تعرض لها النبي (ص) من قبل بعض زوجاته.

الأسلوب التربوي الذي استُنبط من الآيات الشريفة

١-عدم إفشاء السر لأنه خيانة ونقض العهود.

٢- تآمر عائشة وحفصة على الرسول (ص).

٣- حث المؤمنين عن طريق أسلوب النداء على أن يقوا أنفسهم وأهلهم من عذاب الله النار التي وقودها الناس والحجارة وليسوا يجزون إلا بأعمالهم ولا مخلص منها إلا للنبي (ص) والذين آمنوا معه ثم تخاطب النبي(ص) بجهاد الكفار والمنافقين.

٤- يربي الله سبحانه وتعالى المؤمنين من خلال مخاطبة النبي (ص) أن بما هدوا الكفار والمنافقين الذين يريدون النيل من الإسلام والمسلمين.

ثالثاً: أسلوب الوعيد (التهديد)

بيّن الله سبحانه وتعالى سبب علة ما فعله النبي (ص) وهو اسكات زوجته حتى تقلع عن الموضوع وأخذ عليها العهود والمواثيق التي توعدها (ص) وهذا أسلوب تربوي رفيع المعنى يوضحه الله (جل وعلا) ويبين كذلك عدم إفشاء السر بطريقة صارمة لأنها خيانة ونقض للعهود وبين عقوبة افشاء السر هي لعنة الله والملائكة والناس أجمعين بدليل. قوله تعالى (وإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً).

ويدل هذا على أنّ النبي (ص) بشر يسرّ إلى أزواجه كما يسرّ الناس إلى أزواجهم، وأنه لا يمتاز عنهم إلا بنزول الوحي عليه، والعصمة عن محارم الله وكل ما يشين «حقيقة النبوة» (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ). ضمير «به» وأظهره وبعضه يعود إلى الحديث الذي أسره النبي (ص) إلى بعض أزواجه، والضمير المستتر في نبأت يعود إلى حفصة، والضمير في عرّف يعود إلى النبي (ص)، والمعنى أن حفصة أفشت سر النبي على الرغم من وصيته لها بالكتمان، ولما أذاعت وأفشت أخبر الله نبيه الكريم بخبرها، فأطلعها النبي (ص) على بعض ما أفشت، وأعرض عن بعضه رفقا بها، وفيه إيماء إلى أنها تجاوزت الحد في الإفشاء (فَلَمَّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا). سألته من الذي أخبره بخبرها (قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. [x]

(إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما) – أي مالت إلى الحق– (وإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وجِبْرِيلُ وصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ والْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ). ضمير عليه يعود إلى رسول الله، وضمير تتوبا وتظاهرا وقلوبكما إلى عائشة وحفصة فقد جاء في تفسير الطبري ما نصه: «قوله تعالى: «وإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ» يقول تعالى ذكره للتي أسر إليها النبي (ص) حديثه، والتي أفشت إليها حديثه، وهما حفصة وعائشة، وبنحو ما قلنا قال أهل التأويل». [xi] وقال الرازي ما نصه أيضا: «أن تتوبا إلى الله خطاب لعائشة وحفصة». وقال البخاري في الجزء السادس من صحيحه بعنوان «سورة التحريم»: «سأل ابن عباس عمر بن الخطاب: من اللتان تظاهرتا على النبي (ص) من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة» ومثله في القسم الثاني من الجزء الأول من صحيح مسلم بعنوان «باب في الإيلاء واعتزال النساء». وفيه أيضا سؤال آخر حول تتوبا، قال مسلم في الباب المذكور. «سأل ابن عباس عمر: من المرأتان من أزواج النبي (ص) اللتان قال لهما ان تتوبا فقد صغت قلوبكما؟ قال عمر: هي

حفصة وعائشة». وعلى هذا يكون معنى الآية أن عائشة وحفصة قد تعاونتا على النبي (ص)، وأساءتا إليه بإفشاء سره على الرغم من وصيته بالكتمان، وأن الله سبحانه قد أمرهما. [xii]

يضع القرآن الكريم عدّة صفات للمرأة الصالحة التي يمكنها أن تكون نموذجا يقتدى به في انتخاب الزوجة اللائقة. الأوّل «الإسلام» ثمّ «الإيمان» أي الاعتقاد الذي ينفذ ويترسّخ في أعماق قلب الإنسان. ثمّ حالة «القنوت» أي التواضع وطاعة الزوج. بعد ذلك «التوبة» ويقصد أنّ الزوجة إذا ما ارتكبت ذنبا بحقّ زوجها فإنّها سرعان ما تتوب وتعتذر عن ذلك. وتأتي بعد ذلك «العبادة» التي جعلها الله سبحانه ليطهّر بها قلب الإنسان وروحه ويصنعها من جديد، ثمّ «إطاعة أوامر الله» والورع عن محارمه. [xiii] الأسلوب التربوي المستنبط من الآيات الشريفة بعد الأخذ من مضامين التفاسير والأحاديث التي فسرت بها الآيات الجليلة هو: بالتوبة والإنابة عن هذه الخطيئة، فإن تابتا وأصلحتا فقد مال قلباهما إلى أمر الله والإخلاص لرسوله.

وان أصرتا على التعاون ضد الرسول فإن الله وليه وناصره، وأيضا يعينه ويؤازره جبريل وجميع الملائكة والمؤمنين الصالحين. وتسأل: لماذا كل هذا التهديد والوعيد؟ وما هو شأن عائشة وحفصة حتى يحشد عليهما قوة الله وقوة جبريل ومعه جميع الملائكة وصالح المؤمنين.

رابعاً: أسلوب التهديد

عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَأَبْكاراً: تهديد القرآن الكريم لأمثال عائشة وحفصة، تهددهن بالطلاق، وتوحي كأنهن لسن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات، مهما كنّ أبكارا أو ثيبات، فإن المظاهرة على الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هكذا لا تناسب أيا من هذه الصفات، اللهم إلا أن يتبن إلى الله. وكما نعلم، إنما ترجع أصول هذه الحملات والتنديدات والشكوات إلى زعيمتي المظاهرة: عائشة وحفصة، أن لو شاء الله خلصه عنكن، وبدله أزواجا خيرا. [xiv]

والآيات التالية من السورة الشريفة فيها كثير من الأساليب التربوية التي تنهي عن ارتكاب المعاصي وترك المحرمات والدليل الآية المباركة "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ (٦) يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٧)" قُوا أَنْفُسَكُمْ: تشير إلى ترك المعاصي وفعل الطاعات وَأَهْلِيكُمْ بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم. وفي الحديث «رحم الله رجلا قال يا أهلاه

صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعلّ الله يجمعهم معه في الجنة» فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ والْحِجارَةُ نوعا من النار لا يتقد إلا بالناس والحجارة، كما يتقد غيرها من النيران بالحطب. [xv]

خامساً: أسلوب جزاء الإحسان

أسلوب تربوي يدل على أفعال البشر بما يعملون ويجزون بما فعلوا من أعمالهم أي تعمل خيراً تجده تعمل شراً تجده وقد ذكره في تفسير الأمثل بأسلوب تربوي بليغ.

في الآية اللاحقة يخاطب الكفّار ويصف وضعهم في ذلك اليوم العصيب بقوله: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ".

قد جاءت هذه الآية بعد الآية السابقة التي خاطب بها المؤمنين، ليكون واضحا أنّ عدم الالتزام بأوامر الله وعدم الاهتمام بالنساء والأولاد والأهل قد تكون نتيجته وعاقبته كعاقبة الكفّار يوم القيامة. والتعبير بإِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يؤيّد هذه الحقيقة مرّة أخرى، وهي أنّ جزاء المؤمنين يوم القيامة إنّما هو أعمالهم نفسها التي تظهر أمامهم وترافقهم.

وممّا يؤيّد ذلك أيضا التعبير الذي ورد في الآية السابقة الذي يقول إنّ نار جهنّم وَقُودُهَا النَّاسُ والْحِجارَةُ. وممّا يجدر ذكره أنّ عدم قبول الاعتذار ناتج عن كونه نوعا من التوبة، والتوبة لا تقبل في غير هذا العالم. [xvi]

سادساً: أسلوب النصح والتوبة

أسلوب مغاير عن الأساليب السابقة وهو أسلوب النصح والتوبة الصادقة بدليل الآية المكرمة "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَاغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شيء قَدِيرٌ (٨) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩)".

قوله تَوْبَةً نَصُوحاً أي توبة بالغة في النصح نصوحا من صفة التوبة والمعنى توبة تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه، وهو أنها الصادقة الناصحة ينصحون بها أنفسهم، وصفت التوبة وهو

أن يتوبوا عن القبائح نادمين عليها غاية الندامة لا يعودون، من نصاحة الثوب، أي خياطته وعَسى رَبُّكُمْ إطماع من الله تعالى لعباده. [xvii]اما في الآيات الأخرى أساليب تربوية متعددة من فصاحة، وأدب القرآن الكريم، وأسلوب الرسول الراقي مع الكفار والمنافقين وممّا يجدر ذكره أنّ عدم قبول الاعتذار ناتج عن كونه نوعا من التوبة، والتوبة لا تقبل في غير هذا العالم، سواء كان قبل دخول النار أو بعد دخولها خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ» معناه جاهد الكفار بالقتال والحرب، والمنافقين بالقول الذي يردع عن القبيح لا بالحرب إلا أن فيه بذل المجهود، فلذلك سماه جهاداً. لأنه صلى الله عليه وآلة كان يجاهد الكفار وفي عسكره. جماعة من المنافقين يقاتلون معه. [xviii]

والفائدة في هذه الآية، وفي الآية التي قبلها: أن أحداً لا ينفعه إلا عمله ولا يؤخذ بجرم غيره، ولا يثاب على طاعة غيره، وإن كان خصيصاً به وملازماً له. وتبين ان امرأة نوح وامرأة لوط لم ينفعهما قربهما من نبيين واختصاصهما والتصاقهما بهما، لما كانتا كافرتين عاصيتين لله تعالى بل عاقبهما الله بالنار بكفرهما وسوء أفعالهما. وأيضا إيجاد أسلوب تربوي أي درس من دروس نصرة المظلوم على الظالم والتخلص من العبودية والكفر وهو أسلوب الذي ضرب الله به مثلا امرأة فرعون عندما طلبت التخلص من العبودية وجعل لها كرامة الإنسانية بدليل: قوله تعالى: «وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ» إلخ، الكلام في قوله: «لِلَّذِينَ آمَنُوا» كالكلام في قوله: «لِلَّذِينَ كَفَرُوا».

وقوله: «إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ» لخص سبحانه جميع ما كانت تبتغيه في حياتها وتورمه في مسير عبوديتها في مسألة سألت ربها وذلك أن الإيمان إذا كمل تواطأ الظاهر والباطن وتوافق القلب واللسان فلا يقول الإنسان إلا ما يفعل ولا يفعل إلا ما يقول فيكون ما يرجوه أو يتمناه أو يسأله بلسانه هو الذي يريده كذلك بعمله.

وإذ أشار الله فيما يمثل به حالها ويشير إلى منزلتها الخاصة في العبودية دعاء دعت به دل ذلك على أنه عنوان جامع لعبوديتها وعلى ذلك كانت تسير مدى حياتها، والذي تتضمنه مسألتها أن يبني الله لها عنده بيتا في الجنة وينجيها من فرعون وعمله وينجيها من القوم الظالمين فقد اختارت جوار ربه والقرب منه على أن تكون أنيسة فرعون وعشيقته وهي ملكة مصر وآثرت بيتا يبنيه لها ربها على بيت فرعون الذي فيه مما تشتهيه الأنفس وتتمناه القلوب ما تقف دونه الآمال فقد كانت عزفت نفسها ما هي فيه من زينة الحياة الدنيا وهي لها خاضعة وتعلقت بما عند ربه من الكرامة والزلفى فآمنت

بالغيب واستقامت على إيمانها حتى قضت. وهذه القدم هي التي قدمتها إلى أن جعلها الله مثلا للذين آمنوا ولخص حالها وما كانت تبتغيه وتعمل له مدى حياتها في مسير العبودية في مسألة حكى عنها وما معناها إلا أنها انتزعت من كل ما يلهوها عن ربها ولاذت بربها تريد القرب منه تعالى والإقامة في دار كرامته. [xix]

سابعاً: أسلوب الطاعة

أسلوب تربوي يدل على طاعة البشر لله سبحانه وتعالى وقدره وضرب مثل امرأة آمنت بالله ورسوله وصدقت بكلمات لربها وكتبه وهي مريم ابنة عمران (ع) وقد وضحها تفسير الأمثل بأسلوب راقي وتعبير بليغ حيث قال يضرب الله تعالى مثلا آخر للنساء المؤمنات الصالحات، حيث يقول جلّ من قائل: ومَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا «١». فهي امرأة لا زوج لها أنجبت ولدا صار نبيّا من أنبياء الله العظام (من اولي العزم). ويضيف تعالى قائلا: وصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وكُتُبِهِ وكانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ.

كانت في القمّة من حيث الإيمان، إذ آمنت بجميع الكتب السماوية والتعاليم الإلهية، ثمّ إنّها كانت قد أخضعت قلبها لله، وحملت قلبها على كفّها وهي على أتمّ الاستعداد لتنفيذ أوامر الباري جلّ شأنه. ونظرا لرفعة مقام مريم وشدّة إيمانها بكلمات الله، فقد وصفها القرآن الكريم في الآية (٧٥) من سورة المائدة (صدّيقة).

وقد أشار القرآن إلى مقام هذه المرأة العظيمة في آيات عديدة، منها ما جاء في السورة التي سمّيت باسمها أي (سورة مريم). على أيّة حال فإنّ القرآن الكريم تصدّى للشبهات التي أثارها بعض اليهود المجرمين حول شخصية هذه المرأة العظيمة، ونفى عنها كلّ التّهم الرخيصة حول عفافها وطهارتها وكلّ ما يتعلّق بشخصيتها الطاهرة. [xx]

ثامناً: أسلوب المقارنة بين الحسن والسيئ

توجد المقارنة في ضرب الأمثال حيث ضرب مثل امرأتين صالحتين وامرأتين كافرتين ناكرات دين الله وسوله وقد طرق اليها في تفسير مجمع البيان لشيخ الطوسي حيث بين كل واحد منها أفعالها. كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس أنه مجنون وإذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به وكانت امرأة لوط تدل على أضيافه فكان ذلك خيانتهما وما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهما

في الدين وقال السدي كانت خيانتهما أنهما كانتا كافرتين وقيل كانتا منافقتين وقال الضحاك خيانتهما النميمة إذا أوحى الله إليهما أفشتاه إلى المشركين «فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً» أي ولم يغن نوح ولوط مع نبوتهما عن امرأتيهما من عذاب الله شيئا «يقال لهما يوم القيامة «ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ» وقيل أن اسم امرأة نوح واغله واسم امرأة لوط واهلة وقال مقاتل وألغه والهة «وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» وهي آسية بنت مزاحم قيل إنها لما عاينت المعجز من عصا موسى وغلبته السحرة أسلمت فلما ظهر لفرعون إيمانها نهاها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس ثم أمر أن يلقى عليها صخرة عظيمة فلما قرب أجلها «قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ».

فرفعها الله تعالى إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب عن الحسن وابن كيسان وقيل إنها أبصرت بيتا في الجنة من درة وانتزع الله روحها فألقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح فلم تجد ألما من عذاب فرعون وقيل إنها كانت تعذب بالشمس وإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها في الجنة عن سلمان «وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ» أي دينه وقيل وجماعة عن ابن عباس «وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» من أهل مصر.

قالوا قطع الله بهذه الآية طمع من ركب المعصية رجاء أن يقطعه صلاح غيره وأخبر أن معصية الغير لا تضر من كان مطيعا قال مقاتل يقول الله سبحانه لعائشة وحفصة لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم وهو قوله «ومَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها» أي منعت فرجها من دنس المعصية وعفت عن الحرام وقيل معناه منعت فرجها من الأزواج لم تبتغ زوجا ولا غيره «فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا» أي فنفخ جبرائيل بأمرنا في جيبها من روحنا عن قتادة.

وقال الفراء كل شق فهو فرج «أَحْصَنَتْ فَرْجَها» منعت جيب درعها من جبرائيل وقيل نفخ جبرائيل في فرجها وخلق الله منه المسيح وهو الظاهر ولذلك ذكره وقال في سورة الأنبياء فيها وعاد الضمير إلى التي أحصنت فرجها وقيل معناه خلقنا المسيح في بطنها ونفخنا فيه الروح حتى صار حيا فالضمير في فيه يعود إلى المسيح «وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها» أي بما تكلم الله تعالى وأوحاه إلى أنبيائه وملائكته وقيل صدقت بوعد الله ووعيده وأمره ونهيه «وَ كُتُبِهِ» أي وصدقت بكتب الله المنزلة على أنبيائه مثل التوراة والإنجيل ومن وحد فالمراد به الإنجيل «وَكانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ» أي المطيعين لله

سبحانه والدائمين على طاعته ويجوز أن يكون من القنوت في الصلاة ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت مريم. [xxi]

وقد بالغَ تبارك وتعالى في تربيتهم في هذا الشأن فقال الله (عز وجل) "عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون". لكي يربي الله سبحانه وتعالى المؤمنين بـ أسلوب تربوي رفيع يبين فيه عاقبة المؤمنين وعاقبة الكافرين من خلال ضرب مثلين رائعين يعني الأسلوبي التربوي الأول: في قوله تعالى «وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» فـ بين تعالى أن الكافر والعاصي مهما كانت منزلة في الدنيا وان كانا إحدى أزواج النبي (ص). فإن ذلك لا يغني عنه من الله شيء يوم القيامة ولا تغني عنه أهله ولا حتى النبي (ص) وحتى سائر الأنبياء (عليهم السلام) إذا كان العاصي إحدى أزواج النبي (ص) وهؤلاء الأنبياء (ع) قال الزمخشري: (هذا تعريضاً بامرأتين).

المثل الآخر ضربه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين وأن المؤمنين لهم المنزلة العالية عند الله سبحانه وتعالى بحسب أعمالهم وإيمانهم وصبرهم بغض النظر عن انتمائهم القبلي أو العشائري أو الأزواج فقال تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ} فهذا المثل بين القرآن الكريم أن امرأة فرعون على الرغم من أنها زوجة رجل قال أنا ربكم الأعلى والعياذ بالله لكنها مؤمنه وضربها الله (جل وعلا) مثلاً للمؤمنين للذين آمنوا وبين قولها "إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ" وعطف عليها امرأة أخرى وهي مريم ابنة عمران (عليهم السلام) فهذه المرأة التي لم تتزوج وأحصنت فرجها فنزل جبرائيل (ع) فنفخ في جيبها بأن الله سبحانه وتعالى فحملت بـ عيسى (ع) وصدقت بكلمات ربها وكتبه جميعاً ومنها الإنجيل الذي أنزل ولدها عيسى (ع) هذه خلاصة سورة التحريم.

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية لسورة التحريم

بعد التأمل والنظر في سياق آيات هذه السورة الكريمة والتدبر في كل آية من آياتها، وجدت أن سورة التحريم من السور التي لها سياق خاص، وتناسق موضوعي فريد، وترابط متميز في مقاطعها، مما يسوغ القول بأن لها وحدة موضوعية واضحة: –

١–قال دروزة «في السورة إشارة إلى حادث وقع بين النبي (ص) وبعض زوجاته

٢ – واستطرادات متصلة به استهدفت العظة والإنذار والتمثيل والتذكير». [xxii]

وقد قسمت هذه السورة الكريمة على إثر ذلك التأمل والتدبر في آياته إلى موضوعات أربعة، وجاءت على النحو التالي:

الموضوع الأول «عتاب وتحريم ومغفرة» ويشمل الآيتين. (٢ -١)

الموضوع الثاني «التربية في حفظ الأسرار الزوجية» ويشمل الآيات (٦-٣)

الموضوع الثالث «التربية الوقائية للنفس والأهل والمجتمع» ويشمل الآيات (٧-٩)

الموضوع الرابع «التربية الزوجية بضرب المثل بالنساء الغابرات» ويشمل الآيات (١٠-١٢)

وبالنظر إلى هذه الموضوعات الأربعة بتمعن، يمكن القول بأن السورة الكريمة عالجت موضوعاً رئيسا واحدا يدور حول التربية الزوجية. فالسورة الكريمة نراها في مطلعها وفي أول موضوعاتها، بينت لنا جانبا من حادثة وقعت للنبي (ص) حرم فيها على نفسه شيئا مما أحله الله له، وسببه ما قامت به أزواجه، فجاء عتاب الله –تعالى لرسوله الكريم محمد (ص) في بداية السورة، وختم هذا العتاب في نهاية الآية باسمين كريمين له (ص) يدلان على مغفرته له ورحمته به، ثم أشار (ص) بعد ذلك إلى أن من رحمته بالنبي (ص) وأمته أن أنزل لهم ما تنحل به أيمانهم وما يكون كفارة لها. والأمر الآخر عتاب النبي (ص) إلى عتاب بعض أزواجه ممن أفشت سرا من أسراره، متحدثة عن أهمية حفظ الأسرار الزوجية ومكانته، وأن هذا الإفشاء ينبغي أن يعقبه توبة إلى الله تعالى، وعدم الاسترسال في ذلك والتظاهر على النبي (ص)، لأن عواقب ذلك وخيمة على زوجاته، وقد يؤدي بهن إلى الطلاق.

واستبدال الله لنبيه زوجات خيراً منه ثم أخذت السورة الكريمة في بيان أهمية وقاية النفس والأهل من النار وهو المجتمع الأصغر، ومن ذلك المسارعة إلى التوبة النصوح، ووقاية المؤمنين وهم المجتمع الأكبر من شر الكفار والمنافقين، فبصلاح المجتمع الأكبر يصلح المجتمع الأصغر ثم ختمت السورة الكريمة بضرب المثل بامرأتين كافرتين كانتا تحت عصمة نبيين صالحين وهما امرأة نوح وامرأة لوط، إلا أنهما خانتاهما في الدنيا فكان مصيرهما النار في الآخرة، ولن ينفع هما ذلك اليوم حسب ولا نسب ثم ضربت المثل بامرأة مؤمنة تحت زوج كافر من أشد وألد أعداء الله وهو فرعون، إلا أن هذا الزوجة الصالحة المؤمنة اختارت الآخرة ، ورغبت في جوار – الله تعالى في – جنة الخلد ثم ختمت السورة بضرب مثل بالمؤمنة غير المتزوجة الصالحة العفيفة المصونة هذا فالمتدبر في هذه السورة الكريمة، من أول موضوعاتها إلى آخرها، يرى أن كل موضوع اشتمل على تربيه زوجية في غاية الأهمية

والخطورة لكلا الزوجين، أو أحدهما، فخلاصة القول في الوحدة الموضوعية للسورة، أن هذه السورة جاءت في عموم موضوعاتها نسقاً واحداً، وعقداً منتظماً، مركزة الحديث على وحدة موضوعية، وهي: «التربية الزوجية» التي تصلح بالأسرة التي هي نواة المجتمع، وبصلاح الأسرة يصلح المجتمع.

المبحث الثالث

المواضيع المناسبة لاسم السورة التحريم وموضوعاتها ينبغي لقارئ القرآن الكريم أن يتأمل في أسماء سوره، ويمعن النظر فيها، فهي بلا شك عنوان للسورة، ومدخل إليها، يقول الزركشي «ينبغي النظر في وجه اختصاص كلِّ سورةٍ سميت به» ([xxiii]) وقد ذكرت بعض هذه الوجوه ومنها:

١- تسميتها بما يذكر فيها من قصة غريبة أو أحكامٍ خاصة أو أحوالٍ تفصيلية وذكر أمثلةً لذلك: فسورة البقرة لذكر قصة البقرة، وسورة النساء لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء، وسورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها.

٢-التكرار في الكلمات: وذكر مثالاً لذلك سورة "هود" التي تكرر اسمه فيها أربع مرات، مع أنّ السورة تضمنت الحديث عن كثير من الأنبياء. وسورة؛ ق" سميت بذلك؛ لأنها ابتدأت بهذا الحرف الهجائي المقطوع عن غيره.

٣-الانفراد: فسورة نوح لماّ انفردت بقصته مع قومه ولم يقع فيها ذكر غيره من الأنبياء سميت باسمه، وكذلك سورة "يونس" وسورة "يوسف" وسورة "مريم" وسورة "الجن" وسورة "لقمان" وسورة "المنافقون" ([xxiv])وغيرها. ووضح الدكتور محمد خليل جيبك ما أجملَه الزركشي من وجوه فقال: «إن السور القرآنية المنقولة إلينا بتواتر قطعي، التي لا يجاريها ولا يدانيها في قطعيتها أي نص أو كتابٍ آخر".

المبحث الرابع: مناسبة فاتحة سورة التحريم لخاتمتها

إن المناسبة بين افتتاحية سورة التحريم وخاتمتها جلية وواضحة، بل نكاد نقول إن الحقائق التي عرضت في افتتاحية السورة كررت ذاتها بأسلوب آخر في الخاتمة، وفيما يلي نذكر جملة من هذه المناسبات والروابط:

أولا: جاء في فاتحة السورة ذكر أزواج النبي (ص) في الدنيا والآخرة وجاء في خاتمة السورة ذكر بعض زوجاته في الآخرة وهما: آسية زوج فرعون ومريم بنت عمران وقد كانتا مثالين للمرأة التي آثرت

ما عند الله على ما كانت عليه من الملذات الدنيوية، وصدقت وعود الله، وكانت في غاية الطاعة والقنوت إلى الله (جل وعلا) وفي ذلك إشارة واضحة إلى ما ينبغي أن تتصف به زوجات أكمل الناس خلقًا، اللاتي هن أمهات المؤمنين وقدوة نسائهم. هم قال السيوطي: «بدأت بذكر أزواج النبي (ص)، وختمت بذكر زوجتيه في الجنة آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران» (xxv)

ويقول البقاعي: «وقد أتم الله سبحانه وتعالى الأمثال في الآداب بالثيبات والأبكار الأخيار والأشرار فانعطف آخر السورة على أولها في المعاني بالآداب، وزاد ذلك حسنا كونها في النساء في الذوات والأعيان بزواج النبي (ص) لآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران في الجنة دار القرار السالمة عن الأكدار، الزواج الأبدي، فصار أول السورة وآخرها في أزواجه (ص)، وفي الهادي» ختامها بالقنوت الذي هو خلاصة الأوصاف الماضية فالأبدال المذكورات أعظم مناسبة والله.

ثانياً: جاء التهديد والوعيد في فاتحة السورة للمتظاهرتين اللتين تسببتا في التحريم وأفشتا سر رسول الله (ص) وقد استكتم إحداهما الخبر وأمرها ألا تبوح به لأحد، فبثت الحديث للأخرى، وهذا شيء لا ينبغي أن يحدث في بيوت عامة المسلمين، فكيف به إن حدث في بيت رسول الله (ص) قدوة الأمة. ولخطورة الأمر جاء التمثيل في خاتمة السورة بذكر زوجتين كانتا تحت نبيين من الأنبياء فعندما خالفتا مبادئ شرائعهما ولم تلتزمان بأحكام دينهما. (xxvi)

وفي ذلك إشارة وتعريض بأمهات المؤمنين عامة وبالمتظاهرتين خاصة إن بدر منهما ما يخالف شرائع الإسلام التي جاء بها النبي (ص) يقول الفخر الرازي: «وفي ضمن هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين، وهما حفصة وعائشة – رضي الله عنهما – لما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر» (xxvii)

ونقل الشوكاني عن بعضهم أنه قال : «ضرب الله مثلاً للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة – رضي الله عنهما – من المخالفة لرسول الله (ص) حين تظاهرتا عليه » ويعقب عليه بقوله: «وما أحسن ما قال فإن ذكر امرأتي النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهما على رسول الله (ص) يرشد أتم إرشاد ويلوح أبلغ تلويح إلى أن المراد تخويفهما مع سائر أمهات المؤمنين، وبيان أما وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله فإن ذلك لا يغني عنهما من الله شيئًا، وقد عصمهما الله سبحانه وتعالى من ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة».

النتائج

١.إنّ توقير نبينا محمد واجب علينا؛ فقد نذر حياته لدعوته، وضحى في سبيل أن تصل إلينا نقية بيضاء، وهو مستحق منا تعزيراً وتوقيراً، وتطبيق ما أمرنا به، والابتعاد عما نهانا عنه، وتجنب الغلو في حينا له هربًا من إطراء النصارى لعيسى.

٢. أسماء الله حسنى وعلياء واحصارها حفظاً ومعرفة وتطبيقها واقعاً سبيل فوز في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الآثار التربوية للإيمان بهاء أنها تزيد الإيمان، وتملأ القلب اطمئناناً، وتزكي النفوس وتثبت على الطاعة، وتزجر عن المعاصي. الذي أدى بهم التأليهة.

٣. من أعظم أسباب زيادة الإيمان معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، والإكثار من ذكر الله والتأمل في آيات الله الكونية، ومخلوقاته، والأعمال الصالحة.

٤. أهم الآثار المترتبة لزيادة الإيمان الحياة الطيبة، والتمكين في الأرض، والثبات عند المحن والقبول في الأرض، والسكينة.

٥. من أبرز الآثار التربوية المترتبة على التصديق برؤيا الأنبياء زيادة إيمان المؤمن وطمأنينته.

٦. لصلاح القلب أسباب أهمها الإيمان، وتلاوة القرآن وتدبره، وذكر الله، والدعاء، واجتناب المعاصي، ومفسدات القلوب، ومن أبرز آثاره: صلاح الفرد والمجتمع، وانتشار المحبة.

٧. من أهم أسباب الحمد العداوة والبغضاء والخوف من قوت المقاصد، والكبر، وخبث النفس، وطلب الجاه، وضعف الإيمان.

٨. لعلاج الحاسد خطوات كثيرة أهمها الإيمان بالقضاء والقدر، وعلم الحاسد بحرمة الحسد، ومن آثاره انتشار الجرائم، وتمزق المجتمع، وزيادة العداوة والبغضاء.

٩. من أهم آثار الالتزام بالبيعة عزة المسلمين، وتوحدهم، وقوتهم.

١٠. أسلوب الترغيب والترهيب أسلوب قرآني بامتياز، ومنهج تربوي ناجح.

١١. التربية بالقدوة من أهم وسائل التربية لاكتساب مكارم الأخلاق.

الهوامش:

[i] مختار الصحاح، مادة عتب.

[ii] لسان العرب لابن منظور: مادة عتب.

[iii] الحلو، ٢٠٠١.

[iv] الأزهري: تهذيب اللغة، ج٤، ص٢٧٠.

[v] أمالي اليزيدي، ص: ٣٧؛ لجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ص٢٠٢.

[vi] العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، ج١، ص ٦٩.

[vii] تفسير القمي ج٢، ص ٣٧٦.

[viii] مجمع البيان في تفسير القرآن ج١٠، ص ٤٧٢.

[ix] الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص ٣٢٩.

[x] لقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٨٠.

[xi] لآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢٨، ص١٤٦.

[xii] تفسير الكاشف، ج٧، ص ٣٦٤.

[xiii] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج١٨، ص٤٤٥).

[xiv] الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج٢٨، ص ٤٣٨.

[xv] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤، ص ٥٦٨.

[xvi] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج١٨، ٤٥٣.

[xvii] مفاتيح الغيب، ج٣٠، ص ٥٧٣.

[xviii] التبيان في تفسير القرآن ج١٠، ص ٥٢.

[xix] الميزان في تفسير القرآن، ج١٩، ص ٣٤٤.

[xx] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج١٨، ص ٤٦٤.

[xxi] مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١٠، ص ٤٧٩.

[xxii] التفسير الحديث، ج٨، ص٥٢٩.

[xxiii] البرهان في علوم القرآن: ج١، ص٢٧٠-٢٧٢.

[xxiv] نفس المصدر السابق (البرهان في علوم القرآن: ج١، ص٢٧٠-٢٧٢.

[xxv] مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، ص١٦٤.

نظم الدرر، ج٢٠، ص٢١٤.[xxvi]

التفسير الكبير، ج٣٠، ص٥٧٤.[xxvii]

المصادر والمراجع:

. القرآن الكريم

. السيوطي، عبد الرحمن، (١٤٢٦)، (ت ٩١١هـ)، "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، ط ١، ص ١٦٤.

. الطهراني، الصادقي، الصادقي، الشيخ محمد، الفرقان، (١٤٠٦)" في تفسير القرآن بالقرآن"، ج ٢٨، ص ٤٣٨، ا: انتشارات فرهنك اسلامي – دار التراث الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع; الطبعة: الثانية.

. اليزيدي، المالي،١٤٢٣هـ "عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء"، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج٣، ص ٢٠٢.

•ابن منظور، أبو الفضل،(١٤٠٥)،" لسان العرب". – قم – إيران، مادة (س ت أ) المجلد الأول.

•البحراني، السيد هاشم، " البرهان في تفسير القران". بيروت: منشورات مؤسسة العالمي، م ١ / تح قسم الدراسات الإسلامية في دار احياء التراث ج ٥.

•الرازي، الفخر الدين، (١٩٨١)،" التفسير الكبير ومفتاح الغيب"، مطبعة دار الفكر.

•الزمخشري، محمود بن عمر،(١٩٩٥)،"كشاف عن حقائق غوامض التنزيل". بيروت: دار الكتب العربي، ط٣– ط١.

•الشيرازي، ناصر مكارم، (١٤٣١ هـ.)،" تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل"، النجف: المطبعة الحيدرية.

•الطباطبائي، السيد محمد حسين، (١٩٩٧)، "الميزان في تفسير القران "، منشورات مؤسسة الاعلمي.

•الطبرسي، الفضل بن الحسن، (١٤١٥ هـ)، "مجمع البيان في تفسير القران الفلسفة الإسلامية"، الناشر: مطبعة العرفان; الصفحات: تحقيق: لجنة من المحققين، ط٢،. ج٢٠، ص ٤٧٢.

•القمي، على، (١٩٦٧.)،" تفسير القمي"، مؤسسة الإمام المهدي. مكتبة الهدى. مكان النشر. النجف الأشرف.

•الهروي، الازهري، (٢٠٠١)، "تهذيب اللغة "أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠م. تحقيق: محمد عوض مرعب. ج ١١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

• الرازي، زين الدين، (١٩٩٩)، "مختار الصحاح"، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة.

•مغنية، محمد جواد، (٢٠٠٥)،" تفسير الكاشف"، دار الكتاب الإسلامي، ج ٧ / ٤٧٦،

. البقاعي، إبراهيم، (ت ٨٨٥هـ)، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج٢٠، ص ٢١٤.

• الآلوسي بغدادي، شهاب الدين محمود،(١٩٩٧) "روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني". بيروت: دار الفكر.